

قصة الخلاص كما ترويهما لنا الكنيسة في الليتورجيا

تنقسم السنة الطقسية في الكنيسة القبطية إلى قسمين:

- القسم الأول من أول كيهك حتى عيد العنصرة.
- القسم الثاني من بدء صوم الرسل حتى نهاية شهر هاتور.

يتميز القسم الأول بأنه يحكي قصة الخلاص من بدء الزمن الماسياني حتى عودة الروح القدس للبشرية بعد اكتمال عمل المسيح الخلاصي، وهو من بداية البشارة بيوحنا المعمدان الذي سيهيئ الطريق قدام المسيا بحسب النبوة: كما هو مذكور في سفر ملاخي: {هَآنَذَا أَرْسَلُ مَلَائِكِي فِيهِئُ الطَّرِيقَ أَمَامِي. وَيَأْتِي بَعْتَةً إِلَى هَيْكَلِهِ السَّيِّدُ الَّذِي تَطْلُبُونَهُ، وَمَلَائِكُ الْعَهْدِ الَّذِي تُسْرُونَ بِهِ. هُوَذَا يَأْتِي، قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ}.

وهو يبدأ ببشارة الملاك لزكريا في الأحد الأول من كيهك بولادة يوحنا المعمدان، ثم بشارة الملاك للعذراء، ثم زيارة العذراء لأليصابات، ثم ميلاد يوحنا في الأحد الرابع، وتنتهي الأحداث بولادة الرب يسوع والعلامات المصاحبة لتتميم النبوات مثل بشارة الرعاة وزيارة المجوس، ثم الختان وأخيرا المعمودية وشهادة يوحنا المعمدان عن المسيح: «وَفِي الْعَدِ نَظَرُ يُوْحَنَّا يَسُوعَ مُقْبِلًا إِلَيْهِ، فَقَالَ: «هُوَذَا حَمَلُ اللَّهِ الَّذِي يَرْفَعُ خَطِيئَةَ الْعَالَمِ» إلى هنا تنتهي أعياد الظهور الإلهي أي بدء ظهور المسيا كلمة الله المتجسد لإسرائيل ومنه للعالم أجمع.. كما قال أيضا يوحنا المعمدان: وَأَنَا لَمْ أَكُنْ أَعْرِفُهُ. لَكِنْ لِيُظْهَرَ لِإِسْرَائِيلَ لِذَلِكَ جِئْتُ أَعْمَدُ بِالْمَاءِ.

ثم يأتي عيد عرس قانا الجليل ليكون حلقة الوصل بين الفترة الأولى في حياة الرب يسوع منذ بشارة زكريا بمجيء السابق، وبدء العمل الخلاصي في سن الثلاثين بعد المعمودية، ليشرح لنا غاية رسالة المسيح وهي تجديد الطبيعة البشرية الساقطة بتحويل الماء إلى خمر، وهي بداية الآيات التي فعلها يسوع فآمن به تلاميذه!

وبوعي ودقة عظيمة لم تفت الحبيب، يذكر لنا تلك البداية الرائعة التي تلخص القصة كلها: «وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ كَانَ عُرْسٌ فِي قَانَا الْجَلِيلِ!!!» في إشارة حاذقة أن هذا لم

يكن عرسا عاديا، بل هو عرس قيامة المسيح من بين الأموات الذي أكمل به عمله الخلاصي ليعيد الكنيسة عروس المسيح إلى حضن عريسها الحقيقي!

ثم تأتي المرحلة الثانية في القسم الأول (قصة الخلاص)، وهي رسالة المسيا، ماهي رسالة المسيا؟! عندما سأل يوحنا هذا السؤال للسيد المسيح بواسطة تلميذه: **أَنْتَ هُوَ الْآتِي أَمْ نَنْتَظِرُ آخَرَ؟**

أَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمَا: «أَذْهَبَا وَأَخْبِرَا يُوحَنَّا بِمَا تَسْمَعَانِ وَتَنْظُرَانِ: الْعُمِّي يُبْصِرُونَ، وَالْعُرْجُ يَمْشُونَ، وَالْبُرْصُ يُطَهَّرُونَ، وَالصَّمُّ يَسْمَعُونَ، وَالْمَوْتَى يَقُومُونَ، وَالْمَسَاكِينُ يُبَشِّرُونَ».

وهنا وضعت الكنيسة أناجيل آحاد المرحلة الثانية من القسم الأول، وهي مرحلة الصوم الكبير الذي كان يبدأ مباشرة بعد عيد عرس قانا الجليل، لتوضح لنا عمل المسيا ورسالته، **فبدأت بإنجيل الغلبة والنصرة على الشيطان على الجبل بعد أن صام أربعين يوما لتكون بداية خدمته هي انتصاره على العدو لحسابنا، ولكي يرد سبينا كما قال بلسانه الطاهر: {أَمْ كَيْفَ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَدْخُلَ بَيْتَ الْقَوِيِّ وَيَنْهَبَ أَمْتَعَتَهُ، إِنْ لَمْ يَرِيبِ الْقَوِيَّ أَوْلًا، وَحِينَئِذٍ يَنْهَبُ بَيْتَهُ؟}** والقوي هنا هو الشيطان الذي سبانا جميعا بالخطية، فجاء الأقوى أي المسيح وربطه أولا على الجبل وحينئذ نهب بيته الذي سلبه منذ البدء ورد سبينا! وبعد أن كنا في بيت السبي صرنا نحن بيته بحسب قول الرسول: **{وَأَمَّا الْمَسِيحُ فَكَأَنَّ عَلَى بَيْتِهِ. وَبَيْتُهُ نَحْنُ إِنْ تَمَسَّكْنَا بِثِقَةِ الرَّجَاءِ وَافْتِخَارِهِ ثَابِتَةً إِلَى الْهَيْئَةِ}**

ثم بعد انجيل النصره على رئيس هذا العالم، توضح لنا عمل المسيح كما شرحه ليوحنا المعمدان، فوضعت أناجيل: عودة الابن الضال (الأمم) لحضن أبيه، ثم عودة السامرية وكل السامرة للمسيح (المساكينُ يُبشرون)، ثم شفاء المخلع (العرجُ يمشون)، وأخيرا المولود أعمى (العمي يُبصرون)، وهنا تنتهي المرحلة الثانية من القسم الأول: مرحلة رسالة المسيح وشفأؤه للبشرية الساقطة.. لتبدأ المرحلة

الثالثة: مرحلة أسبوع البصخة والآلام المخلصة واكمال العمل بالصليب «قَدْ أَكْمَلَ». وَنَكَّسَ رَأْسَهُ وَأَسْلَمَ الرُّوحَ.

وهنا نلاحظ أن قراءات تلك الفترة هي قراءات تاريخية تمشي مع الأحداث الفعلية يوما بيوم وساعة بساعة، مع بعض القراءات الرمزية البسيطة التي توضح الهدف من تلك الأحداث وتطابقها مع النبوات.

حتى تنتهي بالقيامة وتبدأ المرحلة الرابعة والأخيرة وهي مرحلة الخمسين المقدسة... في هذه المرحلة تتقلب القراءات لتكون بدلا من أنها موجهة نحو رسالة المسيح وعمله مع الإنسان، لنجد أنها تدور كلها حول طبيعة المسيح، من هو؟!

ففي الأحد الأول بعد القيامة (المعروف بأحد توما) نجد المسيح هو الرب الإله، أَجَابَ تُومًا وَقَالَ لَهُ: «رَبِّي وَإِلَهِي!». ثم المسيح هو خبز الحياة، وهو الماء الحي، وهو نور العالم، وهو الطريق والحق والحياة في الأحد الخامس، وكما بدأت القصة بالنصرة على رئيس هذا العالم تنتهي أيضا بالنصرة والغلبة في الأحد الأخير قبل عودة الروح القدس للبشرية بالمسيح الغالب: «قَدْ كَلَّمْتُكُمْ بِهَذَا لِيَكُونَ لَكُمْ فِي سَلَامٍ. فِي الْعَالَمِ سَيَكُونُ لَكُمْ ضِيقٌ، وَلَكِنْ ثِقُوا: أَنَا قَدْ غَلَبْتُ الْعَالَمَ»

وهكذا تنتهي أحداث قصة الخلاص كما روتها لنا الكنيسة خلال خمسة أشهر تقريبا من الأحد الأول من كيهك حتى أحد العنصرة بعودة الروح القدس لنا بقيامة الرب من بين الأموات وصعوده إلى السماوات...

وَنَحْنُ نُبَشِّرُكُمْ بِالْمَوْعِدِ الَّذِي صَارَ لآبَائِنَا، إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَكْمَلَ هَذَا لَنَا نَحْنُ وَأَوْلَادَهُمْ، إِذْ أَقَامَ يَسُوعٌ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ أَيْضًا فِي الْمَزْمُورِ الثَّانِي: أَنْتَ ابْنِي أَنَا الْيَوْمَ وَلَدْتُكَ. إِنَّهُ أَقَامَهُ مِنَ الْأَمْوَاتِ، غَيْرَ عَتِيدٍ أَنْ يَعُودَ أَيْضًا إِلَى فَسَادٍ.

ترتيب الأحداث كما وردت في إنجيل يوحنا بحسب الطقس القبطي لقراءات القداست من أول كيهك حتى عرس قانا الجليل

- ١ كيهك: • معمودية يسوع من يوحنا ثم صعوده إلى الجبل^(١) ليبدأ فترة الصوم الأربعيني.
- ١٠ طوبة: • التجربة (تجربة إبليس للمسيح على الجبل وانتصار المسيح عليه بداية النصر للبشرية) ؛ وفي نفس الوقت إرسال اليهود كهنة ولاويين لسؤال يوحنا عن هو؟
- ١١ طوبة: • في الغد.. فجرأ؛ نزول يسوع من الجبل(بعد ٤٠ يوم) وشهادة يوحنا الأولى له (عيد الظهور الإلهي.. أي إستعلان ظهور الله للبشرية في الجسد. المسيا المنتظر. الله ظهر في الجسد) [وفي الغد نظر يوحنا يسوع مقبلاً إليه فقال: «هُوَذا حَمَلُ اللهِ الَّذِي يَرْفَعُ خَطِيئَةَ الْعَالَمِ. هَذَا هُوَ الَّذِي قُلْتُ عَنْهُ يَاثِي بَعْدِي رَجُلٌ صَارَ قُدَّامِي لِأَنَّهُ كَانَ قَبْلِي. «وَأَنَا لَمْ أَكُنْ أَعْرِفُهُ. لَكِنْ يُظْهِرُ إِسْرَائِيلَ لِذَلِكَ جِئْتُ أَعْمُدُ بِالْمَاءِ». «وَشَهِدَ يُوْحَنَّا: «إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ الرُّوحَ نَازِلاً بِمِثْلِ حَمَامَةٍ مِنَ السَّمَاءِ فَاسْتَقَرَّ عَلَيْهِ. «وَأَنَا لَمْ أَكُنْ أَعْرِفُهُ لَكِنْ الَّذِي أَرْسَلَنِي بِالْمَاءِ ذَاكَ قَالَ لِي: الَّذِي تَرَى الرُّوحَ نَازِلاً وَمُسْتَقَرًّا عَلَيْهِ فَهَذَا هُوَ الَّذِي يَعْمَدُ بِالرُّوحِ الْقُدُّوسِ. «وَأَنَا قَدْ رَأَيْتُ وَشَهِدْتُ أَنَّ هَذَا هُوَ ابْنُ اللهِ.»]
- ثم ذهابه إلى أحد البيوت ليستريح ويأكل.
- في الغد أيضاً.. عصرأ في الساعة الرابعة؛ مرور يسوع على يوحنا في طريق عودته إلى الجليل، وشهادة يوحنا الثانية له على مسمع من إندراوس ويوحنا الحبيب اللذان تبعاه في الحال. [وفي الغد أيضاً كَانَ يُوْحَنَّا وَاِقْفَا هُوَ وَاثْنَانِ مِنْ تَلَامِيذِهِ «فَنظَرُوا إِلَى يَسُوعَ مَاثِيَا فَقَالَ: «هُوَذَا حَمَلُ اللهِ.» «فَسَمِعَهُ التَّلَامِيذَانِ يَتَكَلَّمُ فَتَبِعَا يَسُوعَ. «فَالْتَفَتَ يَسُوعُ وَنَظَرَهُمَا يَتَّبِعَانِ فَقَالَ لَهُمَا: «مَاذَا تَطْلُبَانِ؟» فَقَالَا: «رَبِّي (الَّذِي تَفْسِيهُ: يَا مُعَلِّمُ) إِنِّي نَمَكْتُ؟» فَقَالَ لَهُمَا: «تَعَالِيَا وَانظُرَا. «فَاتَّبَعَا وَنَظَرَا أَنَّهُ كَانَ يَمَكْتُ وَمَكَّتَا عِنْدَهُ ذَلِكَ الْيَوْمِ. وَكَانَ نَحْوَ السَّاعَةِ الْعَاشِرَةِ.»]
- إندراوس يجد سمعان بطرس في الطريق ويخبره عن شهادة المعمدان ليسوع فينضم إليهم بعد دعوة يسوع له.
- مبيت يسوع وتلاميذه في إحدى القرى على الطريق.
- ١٢ طوبة: • في الغد.. [في الغد أراد يسوع أن يخرج إلى الجليل فوجد فيلبس فقال له: «اتبعني.»] تكلمة يسوع ومن معه (إندراوس ويوحنا وبطرس) الرحلة إلى الجليل، وفي الطريق يجد يسوع فيلبس فيدعوه (حيث أن فيلبس من نفس قرية بطرس وإندراوس من بيت صيدا فكانت استجابته بناءً على شهادة إندراوس المبنية على شهادة يوحنا المعمدان)، ثم يدعو فيلبس صديقه الحبيب ثنائيل الذي اعترف بالمسيا بمجرد أن رآه.
- وصول يسوع وتلاميذه الخمسة إلى الجليل. (المسافة من أورشليم إلى الجليل تستغرق ٣ أيام مشياً ، وقد قطعوا يوماً حيث أن المكان الذي كان يعمد فيه يوحنا يبعد حوالي ٣٠ - ٤٠ كم عن أورشليم - راجع يوحنا ١٠ : ٤٠ قصة إقامة لعازر. وبذلك تكون الرحلة إستغرقت يومان).
- ١٣ طوبة: • في اليوم الثالث.. دعوة يسوع وتلاميذه (ربما يكون انضم إليهم يعقوب أخو يوحنا) إلى العرس في قانا الجليل (وأول آية للمسيا يعلن بها مجده).

(١) هذا هو التفسير الوحيد لتغيير الطقس منذ أول كيهك حيث كانت الكنيسة تحتفل بصوم الأربعين المقدسة منفصلة عن أسبوع الآلام، وتبدأ مباشرة منذ المعمودية حتى شهادة المعمدان للمسيا (هذا هو حمل الله)، وجميع أناجيل الأحاد والأعياد في تلك الفترة (١ كيهك - ١١ طوبة) تتكلم عن الظهور الإلهي (ظهور الله للبشر أي تجسد الكلمة ورويته بالعين البشرية)، وكانت تسمى أعياد الظهور الإلهي (بشارة زكريا، بشارة العنزة، بشارة الملائكة للراعة، شهادة سمعان الشيخ...). ولهذا السبب أيضاً يتوقف مديح القيامة عند الأحد الأخير من هاتور وكذلك актiонك حيث أن المسيا إسنعلن للبشرية بالتجسد واستعلن كابن الله بالطبيعة بالقيامة. وأيضا تتوقف الكنيسة عن قراءة أناجيل القيامة في باكر في تلك الفترة من أول كيهك حتى العصرة.